– وأزيد عليه يا نوار، أن آتيكِ بتاج البطريق وأُخدِمَكِ ابنته.[١]

وتضرَّجَت وجنتاها، وقد فهِمَت ما يعنيه، فقالت وقد غضَّت من بصرها: الثأر أولًا يا عتيبة.

– بل نذرُ أبي يا نوار، أمَّا ثأر أبيكِ فلولا نذرٌ مات النعمان ولم يفِ به لكان أخوكِ بشير جديرًا بأن يحمل عبأه.[٢]

وساءها أن يُعيِّرَها بأخيها وضعفِ همته وإيثاره الدِّعَة، ولكنها لم تغضب، فقد سرَّها أن يكون عتيبة بحيث أراد أن يصف نفسه، فقالت: النذر والثأر جميعًا يا عتيبة، فذلك ميراثُ أبيك.

– لو لم يكن ميراث أبي لكان أمرًا من نوار واجب الطاعة، وما يكون لي أن أنكُصَ أو أُرَوِّيَ في أمري[٣] يا ابنة العم، لو أنكِ أمرتيني أن أثب إلى النار الموقدة لأقبسُ لكِ منها جذوة ملتهبة، أو أخوض في بحرٍ من الدم لأُخرِجُ لكِ لؤلؤة حمراء، أو أتطوَّحَ في مهاوِي الريح لأردَّ إليكِ صدى أغنيةٍ عذبة ملأت نفسَكِ، فلا تريدين أن يُفلِت صداها في الزمن!

– أكذلك أنت يا عتيبة؟

– بل اسأليني يا نوار: أكذلك أنا في نفسكَ يا عتيبة؟

– وتكتم عني؟

– بل أنتِ تعرفين، وتُصرِّين — مع ذلك — على الكتمان.

– ألم تكن تعلم ...؟

– كنت أعلم عِلم نفسي يا أُخيَّة، وأهابُكِ أن أسألكِ عن علمِ نفسِكِ.

– فقد علمتَ اليوم.

– وقد علِمتِ أنتِ يا نوار.

– ليتني لم أعلم.

– هل ساءكِ إذن أن تعرفي أنني أحبُّكِ؟!

– بل ساءني أن أعلم ذلك حين أنتَ على أهبة الرحيل عنا يا عتيبة.

---

[١] انظر حديث النعمان وزوجته الفصل التاسع.

[٢] يعني أن ابن عمه أولى منه بالسعي لطلب ثأر أبيه.

[٣] أتأنَّى في أمري.